

Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)

المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)

E-ISSN: 2959-6505

Volume 2, Issue 1, January - March 2024, Page No: 185-197

Website: https://www.aajsr.com

SJIFactor 2023: 3.908 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.51 ISI 2023: 0.337

العقيدة الدرزية في ميزان النقد بين أبنائها ومخالفيها

صالح غضباني*

قسم أصول الدين، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس

The Druze faith is in the balance of criticism among its followers and those who oppose it

Salah Ghodbani *

Department of Fundamentals of Religion, Higher Institute of Fundamentals of Religion, Ez-Zitouna University, Tunisia

*Corresponding author	salah.ghodbani@yahoo.fr	المؤلف المراسل*

تاريخ النشر: 2024-02-12	**تاريخ القبول:** 2024-02-05	**تاريخ الاستلام:** 2023-12-01

الملخص

تعتبر العقيدة الدرزية من أكثر العقائد سرّية، حيث لا يعرفها جلّ النّاس إلا بفرقة داخل المجتمع الإسلامي، وقد حاول بعض المهتمين بدراسة العقائد الاقتراب من هذه الفرقة وفهمها، فبادرهم حماتها بالتضييق والتهديد والوعيد ثم التصفية، حتى لا يعرف العالم كنه الفرقة، ولا ما يدينون به، ولا ما يعتقدونه، إلا من خلال ما يرتضي الدروز إظهاره وإخراجه للعموم، وما ذلك إلا تطبيق لأصل ثابت في إيمانهم وهو السر والكتمان لما يدينون به، إلى أن يحين وقت إعادة فتح باب الدعوة من جديد، بعد أن أغلق سنة 434 هـ، ويقع التمكين للدين الدرزي ليكون دين الخليقة والعالم .

والهدف من هذا المقال، هو التعريف بالعقيدة الدرزية، التي جعلوها سرًا لا يمكن الوصول إليه إلا من علمائهم أو مشايخ العقل، ومن حاول من غيرهم فإن مصيره الملاحقة إلى التصفية الجسدية.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الدعوة، الدروز، السرّ، الكتمان.

Abstract

The Druze doctrine is considered one of the world's most secretive beliefs and it is known to most people to be only a specific group within the Islamic community. Some individuals interested in studying religious doctrines have attempted to approach this group to understand their beliefs but were soon met with restrictions, intimidation, threats and even elimination by the Druze community. The Druze scheme has always been preventing the outside world from knowing the essence of their group, their beliefs, and what they adhere to. It was only what the Druze chose to reveal and make public which is known about their faith. This practice is in accordance with a resolute principle in their faith imposing secrecy and concealment of their beliefs until the time comes to reopen the door for religious propagation (after being closed in the year 434 AH) and the Druze faith is once again empowered to become the religion of all people in the world.

The purpose of this article is to define and identify the Druze doctrine that was kept secret and unreachable to people except the Druze scholars who knew the

fundamentals of their religion only. Even, researchers and non-Druze who tried to uncover this religion secrets were eventually killed.

Keywords : Doctrine, Mission, Druze, Secret, Secrecy.

1- مقدمة:

يعتبر الحديث عن عقيدة الطائفة الدرزية في الأوساط العلمية بالغ الأهمية والسرية، إلى درجة الغموض والتعقيد، والسبب الرئيس في ذلك حسب المتابعين، هو المبدأ الذي تقوم عليه هذه الطائفة، وهو السرية التامة، والغموض المطبق من أجل كتمان الأسرار تحت شعار "التّقيّة"، والتي كانت سمة ظاهرة من سمات حياتهم الدينية والاجتماعية على حد سواء، وما تحويه من دقائق، وبتعبير أدقّ من حقائق لم تَظْهر للعالم إلاّ في زمن متأخر.

وفي هذا السياق، يحكي لنا التاريخ عن بعض الأعلام الذين كانت لهم الشجاعة في طرق باب البحث عن العقيدة الدرزية باستحياء، بهدف إماطة اللثام عن نزر قليل جدا من المخالفات التي لا يمكن السكوت عنها، وهي في الحقيقة خدمة جليلة لأبناء هذه الطائفة في هذا العصر، الذي ازدهرت فيه العلوم، وانكشفت فيه الحقائق.

وقد لقي هؤلاء الأعلام ملاحقة شديدة ومقاومة عنيفة وصلت إلى درجة القتل من طرف أبناء هذه الطائفة، وذلك تماشيا مع الأصل الذي يدينون به ويعتقدونه، وهو السرّ والكتمان، وإخفاء مبادئ الطائفة، والانغلاق على الذات، وعدم الانفتاح على الآخر.

ومنذ إغلاق باب الدعوة الدرزية عام 434 ه/1043م، التزمت هذه الجماعة السرية التامة، والغموض المطبق من أجل كتمان أسرار دينها تحت شعار "التقية"، وكانت سمة ظاهرة من سمات حياتهم الدينية والاجتماعية على حد السواء، وإلى هذا النمط كانت دعوات مشايخ العقل(رجال الدين عند الطائفة الدرزية) عندهم، وعليه سار دعاة رأيهم، واسمعوا الناس وهماً لذيذاً في المسامع فأطربوهم بما كانوا يردّدون من الجمل، ويصوغون من العبارات، حتى رسخ في اعتقادهم أنهم الأمة الوارثة للأمم، وأن "حمزة بن علي" سيمكّن لهم في الأرض، ويجعل أهلها الأئمةَ ويجعلهم الوارثين.

وليس في أيديهم من أسرار الحكمة سوى الاستعداد لقبول المجهول على أنه " مقدس "، والحقيقي دون غيره، والمنقذ في هذا الوجود، علما أن شرْع حمزة بن علي قد قيّد عقولهم، وأخرجهم من نور العلم، إلى ظلمات التقية والاستتار. فأخذوا بحكم العصبية المقيتة، والجهل فراحوا يُنزِلون البلاء بكل من يحاول تصويب هذا الفكر، أو إفشاء هذا "السرّ المقدس"، أو حتى الحديث عنهن ولو كان في مضمار الدفاع عنه، وإن كان من أبناء الطائفة أنفسهم، إلا من مشايخ العقل، الذين يمتلكون هذا الحق دون سواهم.

هذا، والتاريخ ناطقٌ جَزلٌ، وشاهد عَدلٌ، يروي لنا جرأة أفراد بعدد يَقلُّ عن أصابع اليد الواحدة، كانت لديهم الشجاعة ليطرقوا باب البحث في العقيدة الدرزية، على استحياء، ويميطوا اللثام عن نزْر قليل جدّا من المخالفات التي لا يمكن السكوت عنها، وهي في الحقيقة خدمة جليلة لأبناء هذه الطائفة، في هذا العصر الذي ازدهرت فيه العلوم وانكشفت فيه الحقائق.

وتشهد الوقائع والأحداث أن الدروز كانوا لهؤلاء الباحثين بالمرصاد، فلم تعطف عليهم أواصر القربى عندهم، ولم تُثنهم عن الفتك بهم لحمة النسب لديهم، ولم يشفع لأولئك الأعلام نباهة قدر، ولا ارتفاع ذكر، ولا ما قدموه لهذه الطائفة من خدمات جليلة، كان أهمها نقد وتصويب بعض ما وردفي كتبهم حتى لا يَنْفضحَ سرّ عقيدة القوم، المملوءة بالتناقضات.

وسوف أستعرض ثلاثة نماذج من كبار المثقفين، المشهود لهم بالعلم والمعرفة والنزاهة، وأعرض بعضا مما تعرضوا له من مضايقات واعتداءات وصل إلى القتل، وذلك عندما حاولوا إنارة العالم بما توصلوا له من نتائج، وبحوث علمية تخص الطائفة الدرزية وعقيدتهم، وقد كانت في معظمها نقدا بناء كان من الممكن الاستفادة منه والاهتمام به لتدارك النقص، لكن العصبية والتعصب، والتمسك بالموروث البالي والقراءة الوحيدة للنص، تكريسا لمبدأ (**ما أريكم إلا ما أرى**)، (غافر، 29) ، كما كان يفعل فرعون مع قومه.

وعلى هذا سار كبراء الطائفة تكريسا لهذا المبدأ، فليس لأحد الحقّ أن ينْقد أو يناقش أو يعقّب، لأن أمر هذه الطائفة حُسم منذ بداية وجودها، ولعمري إن هذا أشد أنواع التعصب والانغلاق الذي يؤدّي حتما إلى الجهل. وقد انعكس ذلك على أبناء الطائفة فلا يمكن أن تتعدى نسبة العارفين بعقيدة الدروز وطقوس دينهم الـــ 01% إن لم نقل أنّها أقل من ذلك بكثير، نظرا لما يمارسه مشايخ العقل من تعتيم ومنع تسرب أي شيء من أمور العقيدة وإطلاع العامّة عليه وهو السرّ والكتمان أحد الأصول والفرائض الإيمانية الدّرزية.

1-1- إشكالية البحث.

فمن هؤلاء الثلاثة؟

وما سبب نقمة الدروز عليهم؟

وكيف تعامل الدروز معهم؟

وما الغاية من تعاملهم مع الخالف بهذه الطريقة؟

2-1- الدراسات السابقة.

عرف أبناء الطائفة الدرزية بالمحافظة الدقيقة على كتب ديانتهم وعدم اظهارها حتى بين أبناء الطائفة أنفسهم، فلا مجال للاطلاع على كتبهم، إلا إذا تلقى الواحد منهم تكوينا دقيقا، ومتابعة لصيقة تؤهله للاطلاع على السر المكنون وترقى في سلّم المعارف الدرزية، ونال ثقة مشايخ العقل، ففي هذه المرحلة يبدأ في اكتشاف التراث المادي للطائفة. ولعل أبرز من كتب عن الطائفة من أبنائها:

1- أضواء على مسلك الدروز لسامي مكارم

2- الموحدون الدروز في الإسلام لنصر مرسل

3- الإسماعيليين والدروز سليم حسن هشي.

أما من غير لأبناء الطائفة:

1- عقيدة الدروز عرض ونقض لمحمد أحمد الخطيب

2- تاريخ المسلمين لمكين جرجس

3- صابئة حران والتوحيد الدرزي لمحمد عبد الحميد الحمد.

3-1- أهداف المقال:

يهدف هذا المقال إلى:

- تعريف الباحثين بالطائفة الدرزية.
- حث الباحثين على الاطلاع على هذه الطائفة المغمورة.
- كشف جانب من عقيدة الدروز.

4-1- خطة البحث.

عملت على تقسيم هذا المقال إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن أبرز شخصية متقفة درزية- الدكتور عبد الله النجار-، وله علم كبير بالطائفة، وكان له راي مخالف لما عليه مشايخ الطائفة فتم ابعاده عن الساحة نظرا لما يشكله من خطورة على مستقبل الطائفة وموروثها المادي.

المبحث الثاني: تناولت فيه أحد أبرز من كتب في الفرق ومن ضمنهم طائفة الدروز، فلما كشف بعضا مما اطلع عليه عندما عاشرهم وعاش بينهم، فحاولوا وأد ما عرف بكل الطرق.

المبحث الثالث: جئت فيه على ذكر بعض ما توصل له أحد طلبة العلم عندما تناول هذه الطائفة بالدرس والتمحيص والتتبع، لفهم حقيقة هذه الطائفة، فلما سمعوا به توعدوه وهددوه، انتقاما منه على افشاءه ما لا يجوز افشاءه.

وسوف أبدأ بسرد بعض ما نال هؤلاء الشخصيات العلمية الثلاثة، من تضييق وتهديد انتهى بأحدهم إلى التصفية الجسدية. التي يرون أنها الحل الأوّل والأنجع، فإن عجزوا "...لا يناقشون من يكتب عن ديانتهم مناقشة موضوعية بل يحاولون أن يلصقوا به الصفات القبيحة ويشتمونه بأفدح الشتائم مستترين بهذه الألفاظ عن حقيقة دينهم وما يحويه...."[1]

2- المبحث الأول: الدكتور عبد الله النجار

أحد وأبرز الشخصيات الدرزية المعاصرة، حاول أن يكون رجل علم وأمانة علمية، من خلال تقديم قراءة في الموروث العقائدي الدرزي، الذي دافع عليه ونصره وانحاز إليه ولم يكفر به أو يغيره، إلا انه حاول نقده من خلال ما بدا له من أمور ربما يجب أن يعاد النظر فيها نظرا لتغير الزمان وتطوره.

كما تعرض الدكتور لدراسة علمية استنجد فيها بالكتاب المقدس الدرزي ليدلل على ما ذهب إليه واقتنع به، مُؤْثِرا عدم الخوف على ما عندهم من أحكام وعقائد باعتبار مصدرها المقدس والمنزّه، فعالج بعض المسائل وجاء لأدلة موثقة من كتاب الحكمة الدرزية، فثارت ثائرة الطبقة الروحية هناك، والذين بدورهم استنجدوا بالطبقة السياسية لتقضي على هذا التمرد العقائدي وتعيد صاحبه إلى بيت الطاعة، باعتباره متمردا وكاشفا لسر ممنوع اظهاره إلا في لآخر الزمان عندما يعود صاحب الزمان، ويشرف بنفسه على إظهاره.

لذلك تم التعامل مع الدكتور وكأنه خائن للعقيدة ومجرم بحق الطائفة، ومحرض عليها، باعتبار عدم تمكّن العامة من الاطلاع على ما بين أيديهم من درر ونفائس أودعها الحاكم بأمر الله وحمزة ابن علي الزوزني، عند جماعة مخصوصة لا يحل لأحد غيرهم معرفتها.

لذلك تعرّضت لإبراز جانب من حياته العلمية والعملية، وايضاح ما قام به من عمل تجاه طائفته، حيث أرى وأعتبر أنه قدّم خدمة جليلة لطائفته ومنتسبي عقيدته، إلا ان قومه وفرقته تعاملوا معه على نقيض قصده، وهو دأبهم مع كل من حاول التعرض للطائفة والفرقة.

فمن هو الدكتور عبد الله النّجار؟ وماذا فعل حتى يسجّل التاريخ اسمه؟

2-1- المطلب الأول: تعريفه ومكانته العلمية:

يعتبر الدكتور عبد الله النجار، رمزا من رموز الطائفة الدرزية، وعلما من أعلامها، وهو الدكتور والوزير والمثقف والسياسي والدبلوماسي والصحافي والكاتب اللبناني. وباستعراض لسيرته الطويلة وبشكل موجز، نجد أن الدكتور عبد الله النجار من مواليد 1898م، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم عمل مديرا للمعارف في حكومة جبل الدروز عام 1933م، وكتب بالصحافة الاسترالية، عدة مقالات باللغة الإنجليزية من 1928م حتى 1936م، ثم عاد من استراليا أمينا لمكتب الدعاية العربي، من 1937م إلى1939م، ثم عيّنتْه حكومة العراق سنة 1940م مديرا للدعاية والنشر، وتولّى سكرتير الدفاع عن فلسطين، والتحق بالسلك الدبلوماسي اللبناني سنة 1944م، فعُيّين قنصلا في الأردن، ثم مستشاراً في المفوضية اللبنانية في الأرجنتين، ثم وزيراً مفوضاً في سفارة لبنان في كندا ثم في روسيا، وبقي في السلك الدبلوماسي حتى 1962 حيث أحيل على التقاعد وعاد لما يحب، حيث تفرغ للكتابة والتأليف، وهو ما كان سببا في مصرعه.

2-2- المطلب الثاني: بداية محنته مع الدروز ونهاية حياته على أيديهم

تربى الرجل وترعرع في وسط درزي، ومن أبوين درزيين، وهو أحد أعلام الدّروز، ومن كبار مثقفيهم، وقد أصدر كتابا بعنوان" مذهب الموحدين الدروز"[2] وقامت ضجة صاخبة في بعض الأوساط

---

[1] - الخطيب محمد أحمد " عقيدة الدروز عرض ونقض" دار عالم الكتب-الرياض- ط 3 - 1989 ص 167.

[2] - عبد الله النجار " مذهب الدروز والتوحيد "طبعة أولى في دار المعارف بمصر سنة 1965 وقد أصدرت السلطات اللبنانية المختصة قرارا رقمه 489 بتاريخ 02 تموز 1965 يقضي بمنع الكتاب ومصادرته.
طبعة ثانية سنة 1967 في بيروت دون ذكر المطبعة ولا السنة، ظهر تحت اسم " مذهب الموحدين الدروز " يتصدر الكتاب أقوال تقريظ في الكتاب والكاتب. عدد صفحاته 234 ...في هذه الطبعة تعديل بسيط وتوضيح أكثر. نقلا عن كتاب "بين العقل والنبي "لأنور ياسين ووائل السيد وبهاء الدين سيف الله. سلسلة "الحقيقة الصعبة" دار لأجل المعرفة ديار عقل لبنان بيروت 1985 ص 437.

اللبنانية ودار نقاش علني نشرت تفاصيله، بعض الصحف البيروتية حول موضوع الكتاب الجديد، ورافق ذلك اجتماعا خاصّا وطارئا، عُقد في دار الطائفة الدرزية[3] في بيروت، دعي إليه فريق كبير من مشايخ الطائفة الدرزية، لمناقشة المؤلف حول ما عرضه في كتابه، واستشهد فيه ببعض نصوص كتاب "الحكمة" المحظور على جلّ الدروز علاوة على بقية أبناء الطوائف. وبعد جدل وصخب انتهى الاجتماع بقيام أحد المشايخ الحاضرين من عائلة " عبد الخالق" بالاعتداء بالضرب على الدكتور الشيخ "عبد الله النجار" وكان عمره يومها 68 عاما على مرأى من جميع المشايخ والسياسيين الدروز، وبعقر دار الطائفة الدرزية في قلب بيروت، ثم أمرت السلطة اللبنانية بقرار من وزير الداخلية الدرزي يومها " كمال جنبلاط " باستصدار مرسوم من الحكومة اللبنانية يقضي بحجز جميع نسخ الكتاب المذكور، وسحبها من الأسواق وقد تم الأمر، وصدر القرار رقم (489) تاريخ 2 تموز 1965وحمل توقيع وزير الداخلية كمال جنبلاط. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وبالتّنسيق مع مشيخة العقل الدرزية والزعامة السياسية، ممثّلة بكمال جنبلاط وزير الداخلية حينها، وحاكم لبنان الفعلي، تم تكليف الدكتور "سامي نسيب مكارم" أستاذ مادة الفلسفة في الجامعة الأمريكية في بيروت، ذلك الرجل الدرزي وصاحب الثقافة العالية، للرد على كتاب الدكتور عبد الله النجار، فأصدر كتابا عنوانه " أضواء على مسلك التوحيد الدرزي" انبرى فيه المؤلف للرد على ما جاء في كتاب الدكتور عبد الله النجار، وسرد المآخذ عليه، وذلك تدعيما للفكرة السائدة في المجتمع الدرزي التي تقول بصيانة " الحكمة"[4]عن غير أهلها، ولم يكتفَ بذلك بل قدّم له الوزير كمال جنبلاط مقدّمة مسهبة وطويلة، ليعطيه الزخم اللازم، ولم يكن هدف الكتاب إضفاء قيمة علمية جديدة أو كشف ما غمُض من حقائق، إنما كان الهدف منه الرد على الدكتور عبد الله النجار، وتخطئته لتجرُّئه ونشره مقالات استشهد فيها بنصوص الحكمة، ومسِّه "بالحرم" الدرزي، وعدم التزامه بفريضة السر والكتمان، التي تعد دعامة من دعائم دين التوحيد[5]. ويُذكر أنه قد طلب من عجّاج نُويهض[6] الرد على كتاب النجار فاعتذر وقبل بذلك سامي مكارم.[7]

وقد تصفحت الكتاب بعد أن حصلت على نسخة منه أفلتت من الحجز وذلك بعد جهد كبير من البحث عنها دام قرابة ثلاث سنوات، لم أجد أن الكاتب مسّ بأصول العقيدة أو حاول فضح أسرارها بل تراه على العكس، جُلَّ ما حاول أن يفعله، أن يبسّط العقيدة ويسلّط الضوء على مجموعة من الجوانب الغامضة بقصد توضيحها، ولأجل تعزيز فكرته استشهد ببعض النصوص من رسائل الحكمة، فيقول في مقدمة كتابه " فإني سأبسط ما اطّلعت عليه، ودققت فيه كل التدقيق، من قواعد المذهب وفلسفته، وأنا غير مستكتم لها، ولا مؤتمن عليها، فأكون بما أفعل، أصدق في حقها، وآمن لذمامها، من أولئك الملتحفين بها المتزمّلين بكتمانها، الحابسين لها عن النور، إن لم أقل وائديها. " فإن من منع الحكمة عن أهلها فقد دنّس أمانته ودينه"[8]. [9]

ثمّ يتابع النجّار بما يشبه الاستقراء لواقع قوم عايش تعنّتهم وعنادهم للحق وكرههم لأهله، وهو ابن البيت الداخلي، فيقول: " من يدري؟ فقد تقوم عليّ قيامتهم، وتصبّ نقمتهم، حين أبسط أمام النّاس فلسفة هذا المذهب "[10].

وقد كان ما قال وصدق توقّعه، فثارت ثائرة مشايخ الدروز عليه، وتنادوا مسرعين إلى اجتماع في دار الطائفة الدرزية في بيروت، واستدعي المؤلف الدكتور، وساد الجلسة الهرج والمرج والصراخ، واشتعلت الحمية في رؤوس رجال ربما جُلّهم لم يقرأ الكتاب أصلا، ولم يسمع مؤهلو العقل لصوت العقل

---

3 - هي المؤسسة الدينية والرسمية الأولى للدروز.

4- رسائل الحكمة (الكتاب المقدس عند الدروز)

5 - الدبيسي يوسف سليم "أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية (دون ذكر دار النشر) ط1 1992م / 1413هـ، ص 27-28(بتصرف).

6 - عجاج نويهض (1897-1982) مؤرخ وأديب وكاتب ومترجم لبناني قومي عربي، ولد في بلدة رأس المتن ثم انتقل إلى دمشق ثم إلى القدس، وله عديد المؤلفات.

7 - الخطيب محمد أحمد "عقيدة الدروز عرض ونقض" دار عالم الكتب- الرياض ط3 /1989 ص 169.

8 - رسالة التحذير والتنبيه، 33/ 244.

9 - النجار عبد الله " مذهب الموحدين الدروز" (دون ذكر دار النشر ولا تاريخه) ص 6.

10 - نفس المصدر، ص 6.

المتكلم بضرورة تعليم الدين، ولم يمتثل أتباع الحكمة[11]، لحكمة الحياة وحكمة الواقع بأنه لا يمكن إبقاء دين طي الكتمان، طالما أن سره المقدس قد تجاوز عشرات الآلاف وأن العقلية الحمزاوية (نسبة لحمزة بن علي الزوزني[12]) التي حكمت الناس زمن الحاكم الفاطمي ليس بوسعها تقييد الناس زمننا الحاضر. "فقام بنهاية الجلسة أحد " الغيورين على الدين " وهو شيخ بالاعتداء بالضرب على الكاتب المثقف. وقد تمّ هذا الاعتداء بدار الطائفة، إثر الدعوة للاجتماع بدار الطائفة، التي يرفض كل مشايخها أي كتابة عن الطائفة "...فمشيخة العقل نفسها، وفي الرد نفسه تضع لأبحاثنا حدا بقولها: ولا يسعنا إلا أن نطلب من الكتّاب والمنشئين والتاريخيين المحققين ألا يكتبوا شيئا عن المعتقد الدرزي..." [13]

وقد كان الاعتداء على الدكتور عبد الله النجار، على خلفية استشهاده ببعض نصوص الحكمة، خدمة للعقيدة والمذهب، وتعديه على فريضة إخفاء الحكمة عن غير أهلها، وكشفه لبعض النصوص المقدسة، منذ عصر الحاكم بأمر الله وحمزة بن علي الزوزني، اللذين جعلا السر والكتمان فريضة محكمة من فرائض الدين الدرزي.

وقد عُدّ ما أقدم عليه الدكتور النجار، بعد تأليفه لهذا الكتاب جرأة وتطاولا على الطائفة ومقدساتها، لذلك تمت معارضته والنّقمة عليه.

وقد تمّ اغتياله أثناء أحداث لبنان "... وكانت الحرب الأهلية على أشدها في لبنان وقتذاك ..."[14] وتم برمجة الاغتيال في تلك الفترة حتى لا يُعرف قاتله "حيث يقال أنّهم استغلوا أحداث لبنان الأخيرة وقاموا باغتيال الأستاذ النّجار "[15]

وانتهت حياته باغتياله هو وعقيلته في بلدته بيت مِرّي ليلة الخميس في 15 تموز 1976. ولم تستطع الأجهزة الأمنية معرفة من قتله، والواضح أنها لا تريد أن تعرف، إذ المتهمين بقتله هم أنفسهم الذين كانوا يحقّقون في مقتله.

3- المبحث الثاني: الدكتور مصطفى الشكعة.

يعدّ الدكتور من أبرز من كتب في الفرق والطوائف، وهو من المدرسين الجامعيين الذين كان لهم فضل التعريف بكم كبير من الفرق، وقد درّس في لبنان وتعرف على الطائفة الدرزية عن قرب، وتعرف على كثير من رؤوسها وشخصياتها الروحية والدينية والسياسية، وتتبع القوم في مضاربهم وتعرّف على عاداتهم وتقاليدهم علاوة على تتبعه أفكارهم، ومقارنتها مع ما كتب لهم أو عليهم، مما زاد في شغفه بمعرفة الفرقة معرفة تمكنه من تعريفه تعريفا لا يستطيع أحد أن يزايد بعده.

فلما بدأ رحلته مع الكتابة عنهم تعرض له كبراء الطائفة وزعاماتها، وحاولوا ثنيه عما قرّر خوضه من تعريف بالطائفة، فلما لم يفلحوا حرّكوا ضدّه رجال القضاء، ليتم القضاء على ما يروم فعله في المهد، لولا أن تداركه الله تعالى بعنايته وحفظه، لكان في عداد الموتى،

فماهي قصة الدكتور الشكعة مع الدروز؟ وكيف استطاع النجاة من بين أيديهم بعد تمكّنهم منه؟

3-1- المطلب الأول: مقتطفات من سيرته.

وبالانتقال إلى مفكّر آخر كتب في موضوع العقيدة الدرزية وهو " مصطفى الشكعة " وفي استعراض سريع لسيرته الحافلة الغنيّة، نجده مفكرا ومثقفا وأستاذا جامعيا مصريا، وعضو مجمع البحوث العلمية، والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة عين شمس، ورئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وقد شغل مناصب أكاديمية عدّة بين مصر وخارجها، فقد أُنتدب

---

[11] - عني كتاب رسائل الحكمة- الكتاب المقدس عند الدروز.

[12] - حمزة بن علي بن أحمد الفارسي الزوزني، ولد بمدينة زوزن في خرسان من بلاد فارس سنة 375ه مساء الخميس في 23ربيع الأول وهو اليوم (والتاريخ) الذي ولد فيه الحاكم بمصر...في العشرين من عمره في السنة العاشرة من خلافة الحاكم جاء مصر وتبع الحاكم وصار يلقب بالفاطمي بعدما كان الزوزني ...بظهور حمزة بن علي بن أحمد بدأت الدعوة التوحيدية وبها بدأ تأريخ من يسمون اليوم الدروز سنة 408هـ... نقلا عن كتاب مذهب الموحدين الدروز لعبد الله النجار(دون ذكر دار النشر ولا تاريخ نشر)ص 178-179).

[13] - ياسين أنور "العجل والشيصبان في العقيدة الدرزية"رباريس 1985 ص37.

[14] - الدبيسي يوسف سليم "أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية (دون ذكر دار النشر) ط1، 1992م/1413هـ، 14ص28

[15] - الخطيب محمد أحمد" عقيدة الدروز عرض ونقض "دار عالم الكتب – الرياض ط 3 /1989م ص 168.

للعمل مستشارا ثقافيا بواشنطن بين عامي 1960 و1965، وقد ألف كتابه الشهير "إسلام بلا مذاهب" وتكلم فيه عن عقيدة الدروز، وعدة فرق أخرى، كما درّس في جامعة بيروت العربية، ولاقى الدكتور ما لاقاه أسلافه من التهديد والشتم والضغط عليه للاعتذار عما ورد في كتابه، وتكذيب ما تم إيضاحه من عقائد الدروز، باعتبارها تجنّيات وتلفيقات نسبها المبْغِضُون للمذهب، حسب رأيهم، وكأن كتب العقيدة عندهم ليست شاهد عيان يفضح بالسطور ما يحاول المشايخ إخفائه بالصدور من كره للإسلام وعدائهم لنبيّه صلى الله عليه وسلم، فلم يعمد القوم الذين يؤلهون العقل، إلى تحكيم العقل فيما بين أيديهم من أمور عقيدتهم، ولم يهتد الدروز الذين يقدسون الحكمة إلى التصرف بحكمة مع مخالفيهم في الرأي، فتحركت القوة السياسية المتمثلة في شخص كمال جنبلاط وبأمر من مشايخ العقل (رجال الدين عندهم) والهيئة الروحية وكبار المشايخ، المتحالفين دائما لأجل مصالحهم، القاضية بإبقاء التجهيل كسلاح وحيد في قيادة زمام الناس، وإلصاق ذلك بالعقيدة والدين، واستصدروا قرارا من الدولة اللبنانية بإيعاز من السياسي الدرزي كمال جنبلاط، ومرة جديدة تم سحب نسخ كتابه من الأسواق والتخلص منها، ولم يكتفوا بهذا القدر، بل قامت مشيخة العقل الدرزية_ وهي أعلى سلطة دينية رسمية للدروز_ بالادعاء عليه شخصياً أمام القضاء اللبناني، رغم مكانته العلمية والأكاديمية، وتم الضغط على القضاء لإلقائه بالسجن.

2-3- المطلب الثاني: محنته ونجاته من الدروز.

ويروي مصطفى الشكعة قصّته وما حصل معه بطريقة بوليسية مثيرة للاهتمام فيقول: "وحين رفع المسئولون في مشيخة العقل الدرزية قضية علي لما ذكرته في الكتاب[16] عنهم، وأثناء سير القضية لصالح الدروز، وعند عودتي مرة ليلاً إلى بيتي، وجدت ظرفاً تركه مجهول لم يذكر فيه اسمه، وبه بعض الكتب ومنها نسخة من " المصحف المنفرد بذاته"[17] ، وكان الدروز مسرورين جداً من سير القضية في بدايتها لصالحهم، فلما علموا بوقوع نسخة من " المصحف المنفرد بذاته" في يدي، وأني سأعتمد عليه في الدفاع، أسرعوا فتنازلوا عن القضية"، وطبعا ليس الأمر بالشيء الهين إطلاقا فبعد التهديد والوعيد والملاحقة القضائية التي كانت ستؤدي به حتما في غياهب السجون، استطاع الكاتب الوقوع على أحد أخطر أسرار الدروز وأحد أهم ما يحاولون إخفاءه وهو " المصحف المنفرد بذاته ".[18] وقد ورد ذكر هذا المصحف في رسائل الحكمة،[19]

أما لماذا هذا القلق من استعماله كوسيلة للدفاع عن نفسه ونشره، فيعود لأنه طالما رسخ في اعتقاد الدروز بأن القرآن الكريم هو كلام سلمان الفارسي، الذي أوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فخالف النبي الوحي وادعى منزلة ليست له، فقرر كمال جنبلاط بالتوافق مع الشيخ عاطف العجمي، إيجاد مصحف جديد غير المصحف الإسلامي واسمه دالّ عليه، فأسموه "المصحف" دليل على أنه كتاب مقدس، موحى به يحوي الشرائع والحلال والحرام، "المنفرد بذاته" أي المتميز عن مصحف المسلمين بشرعه وتعاليمه الخاصة.

وهو المصحف الذي ألفه كمال جنبلاط وخُطّ بيد الشيخ عبد الخالق أبو صالح.

---

16 - إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة.

17 - المصحف المنفرد بذاته: يُعتقدُ أنّ مؤلّفه كمال جُنبلاط، الزّعيم اللُّبناني المعروف، مستغلا فقد هذا الكتاب. (طبعا والدروز ينكرون ذلك وينسبونه إلى حمزة بن علي الزوزني على اعتبار أنه قد ذكره في رسالة التحذير إلى جماعة الموحدين. 17 / 186) ويُقال أنّه تعاون في وضعهِ مع عاطف العجمي ووضع رسائل أخرى وكُتب وبخطّ عبد الخالق أبو صالح، يتألّف هذا الكتاب من 44 عُرفاً يُحاكي فيه كاتبه القرآن الكريم، بترديد ما في رسائل الدّروز، ولذلك فقد حاول أن يُقلّدَ أسلوب القرآن الكريم في أكثر أعرافه، وكذلك فإنّه أخذ من آياتِ القرآن الكريم ما يُناسبُ بغيتهُ ومرماهُ، وخاصّة آيات النّعِيمِ والعذاب، حيث جعلها خاصّة بمَن يعبد الإله المعبود عندهم (الحاكم بأمر الله)." (الخطيب، محمد أحمد: عقيدة الدّروز، عرض ونقض، دار عالم الكتاب، الرياض، ط1989/3، ص 171 [بتصرّف]، نقلاً عن كتاب "أيّها الدّرزيّ عودة إلى عرينك.)

18 - هذه المعلومة وغيرها حُكيت لي لما زرت لبنان سنة 2016 من كثير ممن كانوا دروزا وأسلموا وهي قصة مشهورة ومعروفة في لبنان، ومازال كثير منهم يروون هذه الحادثة ويتذكرون أحداثها. وقد صادف أن وجدت (على مواقع التواصل الاجتماعي فايسبوك) شيئا من هذا في بعض حوارات الدروز مع غير أبناء ملتهم، الذين أوردوا لهم هذه القصة في مورد الحديث عن شتى أنواع التضييق التي عادة ما تنتهي بالقتل لكل من يحاول الاقتراب من الممنوع الدرزي (الدين، رسائل الحكمة، رجال الدين...)

19 - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين 17/ 186.

والذي قال فيه عاطف العجمي "إنه يكاد يفوق القرآن بلاغة "[20]وأي شرك أعظم من هذا، حينما يعتبر الزعيم الدرزي أن ما خطت أنامله يفوق ببلاغته وعظمته، ما أنزله رب العالمين من اللوح المحفوظ عبر سيد الملائكة على قلب سيد البشر.

وقد قسّم المصحف الدرزي إلى "أعراف"[21] والتسمية جاءت من تسمية حمزة بن علي للدروز حيث أن "العرف" هو المكان العالي في الأرض، وكذلك الدروز هم أسياد خلق الله وهم أعلى من بني البشر، وهذا هو الاعتقاد السائد من خلال مفهوم التقمص، لذلك هم لا يتزوّجون من خارج ملّتهم ولا يزوجون بناتهم للخارج ولا يسمحون لأحد بالدخول لدينهم، ومن يخرج لا يسمحون بعودته، حفاظا على هذا النسل المقدس. فقد ميّزهم حمزة بن علي وأخبرهم أنهم على رأس الأمم فقال لهم : " كُنّيتُم بالأعراف ووصفتم بالأشراف "[22]

وقد قام كمال جنبلاط بتوزيع هذا المصحف سرا على الخلوات والمجالس، ليقرؤوه في رؤوس الجبال وبعيدا عن أعين الناس، وليُعتمد بدلاً من مصحف المسلمين.

وبالنظر إلى ما يحتويه هذا المصحف، نجد أنه وبخلاف كتب الحكمة التي ينصبّ جُلّ تركيزها على الطعن بالأنبياء والمرسلين، وشتم أهل الشرائع، والطعن بالكتب السماوية، فإن المصحف الجديد، يعتمد على اختيار آيات من القرآن الكريم وتحريفها وتبديل كلماتها، والاستشهاد بها على ألوهية الحاكم ونبوة حمزة، فتجد أن كلمة الله الواردة في القرآن الكريم تُستبدل بالحاكم دائما، وكلمة المسلمين والمؤمنين تستبدل بكلمة الموحدين.

وبعض الشواهد من تحريف مصحف رب العالمين، ونسبته إلى المصحف الدرزي، ما ورد في "عُرف الرحمة " (قل : لا ييأس من روح الله الحاكم إلا الكافرون، وما كان لموحد ولا لموحدة إذا قضى مولانا الحاكم الباري أمراً من أمور دنياهم، أو نسخ حكماً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم "[23]

وقال في " عُرف مشارق التوحيد " (ولقد قضى ربكم الحق، أنه من عمل منكم من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن موحّد غير منافق، عملاً صالحاً، سراً أو علانية، وأقام هذا المصحف المنفرد بذاته المنير بصراطه، ولم تأخذه فيه لومة اللائمين، ولم يخش فيه إلا مولاه ... فسيقيّض له مولاه هذه الأرضين وتلك السماوات العُلى تأتيه راضية... وهو غوثه وعوذه وملاذه، وهو الذي يدافع عن الموحدين من حيث لا يحتسبون)"[24]

ويقول في" عرف صلاة الرواح ": (ودّ الذين كفروا أن يروا الله جهرةً، أو في أنفسهم، أو في نعمةٍ، أو يأتيهم العذاب، فلما جاءهم، كفروا به وقالوا: أبشراً منا واحداً نؤمن له، إنّا إذا لخاسرون، بلى إنهم خسروا الحياة الدنيا والآخرة وضلوا عن سبيل الحق)[25]

وبما أنّ المصحف من أسرار الدروز المهمّة، وبه من تحريف الآيات والطعن بالتوحيد الإسلامي ما يثير ثائرة المسلمين، وفي ذلك الظرف السياسي حيث كان الدروز متحالفين مع المسلمين ضد أعدائهم المسيحيين في لبنان، لم يكن الكشف عن هذا الخبر بالأمر المقبول إطلاقا، لأنه كان سيثير الشارع السني، وزعاماته ويهز صورة الزعيم الدرزي، المنفتح على الأديان، والمحسوب تحت لواء المسلمين، مما قد يثير فتنة طائفية لا يُدرك غورها، وينفضح كفرهم وشركهم أمام بقية الطوائف خاصة الإسلامية.

فكانت النتيجة أن تراجعت مشيخة العقل، وانهزمت السلطة السياسية، وأُجبر القضاء على الحكم بالعدل وغلق ملف القضية، والمنتصر الوحيد كان هو الدكتور مصطفى الشكعة.

حيث قام بمغادرة لبنان، وترك التدريس في الجامعة العربية، والعودة إلى بلاده، ويعدّ الشكعة الناجي الوحيد الذي يخرج من بين الدروز بعد أن تكلّم فيهم، وفضح أسرارهم ثم يغادرهم وبه نبض!!! ولقد كان الدكتور الشكعة أحد هؤلاء القلائل الذين كتب الله لهم الخروج سالما من بين ظهراني الدروز.

---

20 - لدكتور الخطيب محمد أحمد "عقيدة الدروز عرض ونقض "دار عالم الكتب – الرياض ط3 /1989م ص 171 نقلا عن كتاب أيها الدرزي عودة إلى عرينك ص 54.

21 - الأعراف"، تعني أنّه قد جاء اسم بني معروف (الدّروز)، لأنّهم قد عرفوا اللّاهوت المُتجسّدِ في النّاسوت، لذلك سُمّوا بالأعراف "المعرفة لِما شُوهِد وعوين"(الرّسالة الموسومة بـ "الشّافية لنفُوس الموحّدين الممرضة لقلوب المقصرين الجاحدين"، 455/58.)

22 - الرسالة الموسومة بالاعذار والإنذار 34/ 249.

23 - عرف الرحمة "المصحف المنفرد بذاته"، ص 124.

24 - عرف مشارق التوحيد "المصحف المنفرد بذاته" ص142/ 143.

25 - عرف صلاة الرواح "المصحف المنفرد بذاته" ص65.

كما يعدّ الشكعة أوّل من وصل إلى كشف حقيقة أن الدروز أصحاب دين، وقد بذل من أجل ذلك جهدا كبيرا كاد أن يكلفه حياته، فقد تحدّث إلى مشايخ العقل وحاول استفزاز عقولهم، ليعرف ما يخفونه في أنفسهم، ثم انتقل إلى كمال جنبلاط ليسمع منه "الدروز ...اعتنقوا الإسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم ولما كانت العقيدة عندهم متطورة فقد تحولوا عن الإسلام، إلى دين آخر مستقل هو الدين الدرزي، إن الدرزية كانت مذهبا إسلاميا ثم تطورت وأصبحت دينا مستقلا ..."[26]

وقد توصل في الأخير وبعد بحث مضن إلى " ...وهكذا احتار الدكتور الشكعة في أمره وهو يحادث أقطاب الدرزية ويقرأ كتبتها الأفذاذ: فشيخ العقل" يرجوه أن لا يقول عن الدرزية أنها "دين" وجنبلاط لا يسمعه سوى أنها " دين " وسامي مكارم يسقط في رده على النجّار وبلا قصد منه ويقول بـ " دين التوحيد" والنجّار يخاف من تسمية الدرزية بـ " ديانة " ولكنه لا يخاف من اعتبارها غير الإسلام ...وراح الشكعة يجوب المجتمع الدرزي ليتأكد من أفواه الأطفال والأولاد حقيقة الأمر، ويرفع عن عقله المظانّ، ويقول لنا في جولته "قد لاحظت أن كل طفل درزي، حتى أبناء أصدقائنا المستنيرين، إذا سئل عن دينه قال: إنه درزي. فإذا قيل له: يعني مسلم؟ أبدى استغرابا شديدا، وكأن ليست ثمة علاقة تربط بينه وبين الإسلام، وله العذر في ذلك، طالما أنه لم يُعلّم أن الدرزية مذهب من مذاهب الإسلام ..."[27]

4- المبحث الثالث: الدكتور محمد أحمد الخطيب.

يعتبر الدكتور محمد أحمد الخطيب من القلائل الذين تناول الطائفة الدرزية بالبحث والتمحيص، من خارج الطائفة، وفي بلد لا تشكّل الطائفة الدرزية أكثرية فيه، وقد كانت دراسته هذه رسالة اكاديمية قدمها الطالب لنيل درجة علمية في اختصاص دقيق، أتى فيه على ما تمكن من الوصول إليه من معلومات أفلتت لسبب أو لآخر من قبضة الدروز الذين يحيطون كتبهم بهالة من القداسة والسريّة، علاوة على شدة اخفائها تطبيقا لفرض ديني ألا وهو "السر والكتمان".

فما حقيقة تعرض الدروز لكل من رام الاطلاع أو اظهار شيْء من عقيدتهم وأسرار دينهم؟

وماذا أظهر الدكتور عن الدروز حتى يلحقه من أذاهم ما لا يحتمل؟

ولماذا يخالف الدروز بقية الديانات والفرق والطوائف بالدعوة إلى عقيدتهم في حين يستميت الدروز في إخفاء عقيدتهم؟

4-1- المطلب الأول: حياته ومحنته:

لم يكن "محمد أحمد الخطيب" درزيّاً أفشى أسرار الدروز وخبايا ديانتهم، كما أنه لم يقدّم الكتاب موضوع رسالته لنيل الماجستير في بلاد يوجد بها الدروز، ومن الإنصاف أيضا أن نعطي مؤلّفه حقّه فقد كان صرحاً فكريا دكّ أبواب قلاع التقية ففتح ما أقفلت عليه السلاسل من الفعال، وأنار مصابيح دُجى في ليل عسعس في عقول آمنت بكفرها فأخلدت للسّبات، و نصبوا الحكمة كتاباً مقدّسا لا يقرؤونه، يجعلون من إبعاده عن أيدي الناس وعدم تمكن القراء من الوصول إليه وجهلهم به حجة لهم، لإضفاء القدسية على عقول ناقصة لم تستطع فهم ما خطه عقل كلي، وهذا أغرب ما قد تسمعه من مُدع للعقلانية ومُقدّس للعقل يوماً.

فالدكتور محمد أحمد الخطيب، كاتب أردني، ألّف كتاباً أعدّه كرسالة ماجستير بعنوان " عقيدة الدروز عرض ونقض " وقدّمه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام سعود في الرياض، أي أنه لم يكن ببلاد الشام، موطن الدروز الأصلي ومركز تجمّعهم، بل كانت رسالة جامعيّة وببلاد الحجاز، وقد قال في مقدّمة كتابه كلمة مشهورة تُكتب بماء الذهب إذ أقرّ بشجاعة بأن "... المسلم وإن كان مطلوباً منه أن يُحسن معاملة من يعيشون معه - من غير دينه –إلا أنه وفي الوقت نفسه محرَّم عليه أن يجامل على حساب دينه وعقيدته، لذا فإني وإن كنت لا أطعن في وطنية كل من ينتسب إلى الطائفة الدرزية، إلاّ أني – وفي الوقت نفسه –لا يمكن أن أنسب هذه الطائفة إلى الإسلام ".[28]

---

[26] - ياسين أنور والسيد وائل وسيف الله بهاء الدين "بين العقل والنبي دار لأجل المعرفة ديار عقل لبنان بيروت 1985 ص 116.
[27] - الدكتور الشكعة مصطفى "إسلام بلا مذاهب" الدار المصرية اللبنانية ط 11، 1416 هـ /1996م ص 305.
[28] - الخطيب محمد أحمد "عقيدة الدروز عرض ونقض" دار عالم الكتب – الرياض، ط1409،3هـ/1989م، ص 3.

وقد بيّن المؤلّف في كتابه نشأة الدروز وعلاقتهم بالإسماعيلية الباطنية، وأورد ما جاء في كتب الحكمة الدرزية من عقائد، كتجسّد الله تعالى في شخص الخليفة الفاطمي وأفعاله، وعقيدة التقمص وانتقال الروح لجسد آخر بعد الموت، وإنكارهم الرسل وشتمهم وتحقيرهم لهم، وإسقاطهم الفرائض، وغيرها من الأفكار والمعتقدات الواردة في كتبهم، واستشهد للدلالة على موضوعيّته برسائلهم وما جاء فيها، ثم تناول عقيدة الدروز وقام بالرد عليها.

2-4- المطلب الثاني: محنته.

وقد وضّح علاقة الدروز مع كتابهم المقدس، حيث وضّح أن رسائل الحكمة يحرم فتحها وقراءتها، إلا من مشايخ العقل، كما يَحرُم على هؤلاء المشايخ بعد فهم ما انطوت عليه هذه الرسائل من توجيهات أن يَبوحوا بها.

واليكم ما جاء في الرد عليه، يرويه المؤلف بلسانه فيقول الدكتور الخطيب:

" وللحقيقة أذكر أن هذه الأمور مجتمعة قد حدثت معي شخصياً، حينما تم طبع ونشر كتاب (عقيدة الدروز عرض ونقض)، وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود عام 1400هجري، حيث ظهر وبشكل واضح طريقة التعامل القذر، الذي يتمّ مع كلّ من يحاول أن يبحث عن حقيقتهم. فقد توالت المكالمات الهاتفية التي تهدّد بالقتل، وجاء على إثرها الكثير من الرسائل والتي تتوعّدني بالويل والثّبور، إن لم اعتذر عن كتابي وما ورد فيه، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور وإحراقه، وكذلك عملوا على مطالبه المسئولين في كثير من البلاد العربية بمنع الكتاب، فكان أن مُنِع في عدد من البلاد العربية.[29]"

وها هم ما زالوا دائبين على العمل على تجهيل النّاس وإرهابهم حتّى أسّسوا أجيال من الضّالين، لا يجيزون سبيلاً لصوت مخالف لمعتقدهم ولا يفتحون عيناً لنور جاء من خارج ملّتهم.

إلّا أنّ اللافت في قصص هؤلاء القلّة الذين طرقوا بشجاعة هذا المدخل الخطير، أنّ طريقة التعامل معهم كانت واحدة دائما، فمن التّهويل والتّهديد بالقتل، إلى المطالبة الدائمة بالاعتذار عما كتب، واعتباره كذبا وتجنّ، إلى استخدام النّفوذ السياسي والمالي لسحب النّسخ من الأسواق، ومنعها حتّى من البلدان العربية، إلى قيام أبواق الإعلام الدّرزي بشدّ الأزر الطائفي، من خلال تكفير الكتّاب وإلصاق التّهم والافتراءات بهم، والاستشهاد بما أعدوه سابقا من ظاهر القول المخالف لباطن المعتقد، التي ترمي إلى أنّ الدروز فرقة إسلامية اتّفقت مع الإسلام في الأصول والأركان، واختلفت معه في الاجتهاد بالمسائل الفقهية المسموح الاجتهاد فيها، وكأن تجسيد الله، وإسقاط الصلاة، وإلغاء القرآن، وتعطيل الحدود، وتحليل الحرام، والطعن بالأنبياء، واعتبار الكتب السماوية باطلة، وحمل النّاس على الإيمان بتشريع جديد هو كتاب أرضي خير مما أنزل الله تعالى، واعتبار نبوّة حمزة هي خاتمة النبوّات، وإسقاط البعث والحساب والقيامة والنشور بالمفهوم القرآني، وتكذيب الجنة والنار ووجودهما، وتكفير البشر قاطبة، وتعطيل العقل والعلم والتدبّر الذي أمر بهم الله تبارك وتعالى، واعتبار الطّاعة دون تفكير أو بحث أو دراية، هي أعلى مراتب المستجيبين، وغيره الكثير المؤذي لفظاً وسمعاً، وركوب الأسطورة والإيهام بأنهم مسلمون مجتهدون .

فلا يعدّ الدين الدّرزي دين عقل ولا شرع، إنما حملته عقول كفرت بالشرائع، وحفزتها المغانم، لارتكاب المآثم، فلا يتكلّمون بحجّة، أخلدوا إلى راحة الجهل، وآووا إلى ظل السكون، غلبت فيهم الغوغاء على أهل الحلم، وقل الوعي ولم يبق له في عقول القوم من أثر، أعملوا السيف بين أكتاف المخالفين لهم، حتى استقامت قناتهم، ولم يجترأ مجترأ منهم على خلافهم. شرك تأجّج في كل ناحية وصقع، وكلمة تفرقّت على التوحيد واجتمعت على الطائفة، وطائفة أستعبد الجهل أهلها، وركب كل حيّ هواه، فلا تهتدي منهم على صواب قول، ولا يجتمع لسان حالهم على رأي، مع الغالب يمشون ورايته يرفعون.

ولم يبقَ عند الباحث من شكّ أنّ الخطّة لتجهيل النّاس، وإرهاب العارفين، ليَلين مقود الناس وتندى جباههم، لأولي الأمر من أصحاب العمائم[30]، وتكريس السّياسة لخدمة الدين والعقيدة، ليكون السرّ الجليل

[29] - الخطيب محمد أحمد "عقيدة الدروز عرض ونقض" دار عالم الكتب – الرياض، ط1409،3هـ/1989م، ص 242 – 243 – بتصرف-

[30] - كناية عن مشايخ القعل = رجال الدين عند الطائفة الدرزية.

المستوحى من عدم فهم العقيدة، هو الرّكيزة المعتمدة لقُدسيّتها، ويبقى النّقاش محظورا لأن ما أُخفي عن العيون لا يصحّ أن تفقهه العقول.

5- الخاتمة.

- من خلال ما تقدم يظهر جليا أن أتْباع الدين الدرزي، يقفون سدّا منيعا أمام حركة الفكر، على عكس ما جاءت من أجْله الشرائع التي رفعت من شأن العقل والعلم. ولعلّ السبب من وراء ذلك عدم تفكك المنظومة العقدية التي يؤمن بها الدروز، والتي يخشون عليها أن تواجه العلوم المختلفة، لما تحمله في طياتها من مخالفات صريحة لمنطق العقل والمنطق علاوة على مضادّتها للشرائع السماوية.
- وعليه فقد حرّم أرباب الطائفة على العامّة الاطلاع على دينهم ومعتقدهم، وجعلوه حكرا على ثلة قليلة، أقنعوهم على مر التاريخ أنهم وحدهم المؤهلون لحمل هذه الأمانة (رسائل الحكمة. التعاليم الدينية. العقيدة الدرزية ...) وأخذوا عليهم الميثاق على ألا يبوحوا بشيء قلّ أو كثر مما بين أيديهم.

وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، في العصور الماضية حيث لم يظهر شيء من رسائل الحكمة التي حفظت في أماكن لا تطالها أيدي الموالين، محاولة منهم في استمرارية السرية والكتمان، التي جعلها الدروز فريضة مُحكمة، ودعامة من دعائم دين التوحيد، وتسليما منهم أن مشايخ العقل وحدهم يملكون هذه الرسائل دون غيرهم.

وكلّ من حاول أن يتجاوز الخطوط الحمر التي رسمها أرباب هذه الطائفة فإن مصيره التنكيل والتصفية الجسدية، وما النماذج التي جئت على ذكرها إلا نزر قليل، مما عُرِف مصيرهم، وما وقع لهم. فكثير غير المذكورين قد نُكّل بهم وقُتلوا ولم يسمع بهم أحد خاصة لما كانت الأخبار لا تتناقل بسرعة، وأكثر من تمت ملاحقته من الذين غيّروا عقيدتهم فمنهم من هُجّر، ومنع من زيارة أهله وعشيرته، ومازال يعيش في المنافي، ومنهم من قتل. ولن ينفك أعيان الطائفة والذين يمتلكون سلطتي الدين والسياسة، عن ملاحقة كل من تسوّل له نفسه البحث في عقيدة القوم، ولو كان بعيدا عنهم.

- أن للدّروز طرقا متعددة في تعقب كل من اهتم بعقيدتهم، ولعل أولها وأنجعها وأضمنها "التصفية الجسدية "مع التركيز على استغلال الظروف المناسبة لمحاولة وأْد معالم الجريمة، حتى لا يُتعرّف عليهم، وهم مستعدّون لكل أنواع الترغيب والترهيب من أجل التكتّم على جرائمهم، ولعل ما وقع مع الدكتور عبد الله النجار، الذي لم يعرف قاتله إلى اليوم، خير دليل على ذلك، لأنهم استغلوا ملابسات الحرب الأهلية في لبنان ونفذوا مخططهم.

أما الدكتور مصطفى الشكعة، الذي لم يوفّقوا في اغتياله، فقد لاحقوه بالمحاكم، واتهموه بشتى أنواع التّهم الخطيرة، وحاولوا الزجّ به في سجون لبنان، حتى يتم التخلّص منه لاحقا في غياهب المعتقلات، ويتخلّصوا من خطره هناك. وقد أنقذه الله تعالى بسبب حصوله على نسخة من كتاب الدروز "المصحف المنفرد بذاته" والذي خُشي من الدكتور الشكعة أن يستعمله، ويوضح أنّ ما تكلّم به مأخوذ من كتبهم، وخاصة هذا الكتاب الذي استند له وعزى كل ما قاله في كتابه " إسلام بلا مذاهب " إلى هذا الكتاب وغيره من كتبهم، كما قدّروا أن المنفعة من الزج بالدكتور الشكعة، أقل بكثير من المنّ عليه بالعفو وسحب القضية، فخيّروا دفع المفسدة المتمثلة في دفاعه عن نفسه أمام المحاكم، ومتابعة الرأي العام لها، وما سيُسيل ذلك من حبر، ويتسبب في دعاية كبيرة لما يخفيه الدروز، وربما يتسبب في انتشار الكتاب المحفوظ عن أعين كل أبناء الطائفة عدى بعض رجال الدين عندهم، عن جلب المصلحة المتمثلة في إسكاته والانتقام منه، وما سيسبب ذلك من مشاكل دبلوماسية وإثارة للرأي العام، وربما استثارة الجماهير لفهم هذه العقيدة المخفية.

وقد جعل الله تعالى كتاب المصحف المنفرد بذاته سببا في نجاة الدكتور، وأسقطوا الدعوى ففرّ ببدنه إلى بلده مصر. وقد تم وأْد هذه الحادثة، وأُخفيت عن مرأى ومسمع الناس، حتى لا تتداول من جديد، وقد سمعت ذلك من أفواه الكثير من المثقفين الذين مرقوا عن دين الدروز في لبنان، حين زرتها لجمع المادة العلمية لرسالة الدكتوراه التي كانت بعنوان " أصول الاعتقاد عند الدروز "

أما ما لحق الدكتور محمد أحمد الخطيب، من سب وشتم وتهديد ووعيد واتصالات ورسائل، كلها جاءت لإرهاب الدكتور الخطيب، بسبب ما أقدم عليه من إبراز ما يعتقده الدروز وإظهاره للعامة، لينال بذلك رسالة الماجستير، في بلد لا وجود فيه الدروز، ولم يكن يقصد من وراء ذلك إلا الحصول على الدّرجة العلمية، التي رأى أن يوجّه اهتمامه إلى دراسة طائفة تعيش في بلاد الشام، وقد رام من خلال هذه الرسالة إبراز ما لهم وما عليهم، متّبعا المنهج العلمي الاستقصائي، حتى لا يظلم أبناء هذه الطائفة ولا يعتدي عليهم. فكان أن أُعتدي عليه وناله ما لم يكن يتصور من التعنيف اللفظي، والسب بأفظع أنواع السب والشتم، ولم يكتفوا بذلك بل سارعوا إلى سحب كل نسخ الكتاب من الأسواق، والتوسط لدى أصحاب القرار في الدول التي وصلتها نسخ من الكتاب، من أجل عدم وصوله للقرّاء والمهتمين. وقد كان لهم ما أرادوا، إلا أنهم لم يتمكنوا من إيذائه جسديا بسبب وفاته.

- إنّ مثل هذه الأحداث كثيرة ولا تنتهي، ولعل سبب خروجهم عن دين الآباء والأجداد في الفترة الحالية، مخالطة المثقفين من أبناء الطائفة لغيرهم ومناقشتهم وإصغائهم لصوت الحق، الذي كانوا ممنوعين من سماعه، وتوسُّع المعارف، وانفتاح الطوائف على بعضها.
- كما أن الحيرة التي يعيشها الدرزي لمّا يفكّر في مصيره وحاضره، فلا يجد إجابة تريح قلبه وتُسكنُ وجدانه، مما دفعهم إلى البحث والتقصي، وقد عايشت قصة شاب اتصل بأحد الشباب الذين تركوا الدين الدرزي واعتنق الإسلام، ورتب معه موعدا تحت جنح الظلام، وفي ساعة متأخرة من الليل، حتى لا يعرف أمره وفي سرّية مطلقة جاء لزيارته في بيته، ومعه زوجته، وحدّثنا عن الحيرة التي يعيشها وزوجتَه من المصير المجهول، ومن سطوة الآباء المتعصبين للعقيدة الدرزية، ومن الخوف من المحيط الذي يعيش فيه وسط الدروز، وقد أجهشا بالبكاء في مناسبات عديدة، وخاصة لما طمأنهم هذا الشاب المسلم، ونصحهم ووضّح لهم طريقة التعامل مع من حولهم، وأزال الغموض عن مستقبلهم، بعد تفصيله القول في الإسلام، وأقنعهم بسماحته وصحته، وأنّ ما عليه الدروز لم يكن في يوم من الأيام دينا، وحاول أن يُهدّأ من هذا الغليان والحيرة التي يمرّان بها. وقد ظهرت الراحة والسكينة على وجوههما.

6- التوصيات:

- إني أأمل أن يراجع الدروز علاقتهم مع عقيدتهم، لأننا في عصر العلم والمعرفة، فإذا لم يتداركوا أنفسهم ويعملوا على نقد الذّات، والإصغاء إلى العقل ومنطقه، فان الطائفة إلى زوال، وليس ذلك ببعيد، باعتبار ما تحمله هذه العقيدة من تناقضات طفحت بها رسائل الحكمة، وكانت سببا في خروج جلّ من اطّلع عليها. وقد تسرّب في العصر الحديث بعض هذا الموروث المقدس لديهم، وساهم في ظهوره الحروب الأهلية، التي عصفت ببلاد الشام، ممّا سهل استيلاء المخالفين والأضداد على بعض كتب الدروز، ونشروها وجعلوها متاحة للعامة، رغم محاولات الصلح واسترجاع كثير من الكتب الدرزية، والتي لم يكتب لها أن ترى النور إلى حد اليوم.
- أرجو أن يأخذ الدروز العبرة مما يحدث داخل الطائفة، من تمرّد ساهم فيه خروج كثير من أبناء الطائفة عن معتقد الآباء والأجداد وتسريبهم لبعض المؤلفات، ولعل أهمها على الإطلاق "رسائل الحكمة" التي صارت متاحة على الشّبكة العنكبوتية، رغم إنكار مشايخ العقل أن تكون هذه الرسائل المتاحة حقيقية. وفتح الحوار مع أبنائهم التائهين الذين يبحثون على الحقيقة، وعدم تعنيفهم، والتعامل معهم واقناعهم طالما أنهم يعتقدون صحة العقيدة الدرزية.
- عدم إخفاء موروثهم الديني المادي واللامادي، تعميما للفائدة واظهارا للحقيقة، وحسما للجدل المتزايد بين أبناء الطائفة وغيرهم أيضا.
- وعليه من يُعَدّ المتهم؟ هل الدين الدرزي؟ هو من غذّى ما جئت على تفصيله، أم الفهم السقيم لتعاليم الدين؟ أم كلاهما: الدين والمتدينون؟

المصادر والمراجع:

1. أيها الدرزي عودة إلى عرينك (المؤلف مجهول)
2. الخطيب محمد أحمد " عقيدة الدروز عرض ونقض" دار عالم الكتب-الرياض- ط 3 – 1989.
3. الدبيسي يوسف سليم "أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية (دون ذكر دار النشر) ط1 1992م / 1413هـ
4. **رسائل الحكمة** (الكتاب المقدس عند الدروز، مكون من 111 رسالة مجموعة في ست كتب (أجزاء))
5. رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين.
6. رسالة التحذير والتنبيه.
7. الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار.
8. الرّسالة الموسومة بـــالشّافية لنفُوس الموحّدين الممرضة لقلوب المقصرين الجاحدين، 58
9. الشكعة مصطفى "إسلام بلا مذاهب" الدار المصرية اللبنانية ط 11، 1416 هـ /1996م.
10. **المصحف المنفرد بذاته. (يحتوي هذا المصحف على أعراف)**
11. عرف الرحمة "المصحف المنفرد بذات.
12. عرف مشارق التوحيد "المصحف المنفرد بذاته.
13. عرف صلاة الرواح "المصحف المنفرد بذاته.
14. النجار عبد الله " مذهب الموحدين الدروز" (دون ذكر دار النشر ولا تاريخه).
15. ياسين أنور "العجل والشيصبان في العقيدة الدرزية" باريس، 1985.
16. ياسين أنور والسيد وائل وسيف الله بهاء الدين "بين العقل والنبي" دار لأجل المعرفة ديار عقل لبنان بيروت، 1985.